حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد التاسع ـ شوال ١٤٤٠هـ / حزيران ٢٠١٩م

باب الثعبان - مسجد الكوفة المعظم

٩

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

الرسائل المتبادلة بين الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل الكوفة
قراءة تحليلية

السيد مثنى محمد رضا الشرع(*)
الحوزة العلمية في النجف الأشرف

أولا: رسائل أهل الكوفة إلى الإمام (عليه السلام)

بعد أن علم الشيعة من أهل الكوفة بأن الإمام قد رفض البيعة ليزيد بن معاوية، راحت تتحدث عن مساوىء معاوية وسوء معاملته وما الحقه ببلدهم من الدمار الشامل وما استهدفه من تصفية لأعلام الشيعة في الكوفة مثل حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي، وغيرهم من الاخيار والعلماء[1].

لذلك عقدوا مؤتمراً عاماً في بيت أكبر زعمائهم، فألقوا الخطب الحماسية التي شجبت الحكم الاموي واشادت بالإمام(عليه السلام)، قام سليمان بن صرد فخطب خطاباً بليغاً جاء فيه: «أن معاوية قد هلك وأن حسيناً تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وانتم شيعته وشيعة أبيه، فأن كنتم تعلمون أنكم ناصروه فجاهدوا عدوه فاكتبوا إليه، وأن خفتم الوهل والفشل، فلا تغروا الرجل من نفسه»، فكانت إجاباتهم بحماس: «نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه»[2].

وهذا يوضح دعمهم للإمام من خلال إرسال الوفود والرسائل له، هذا فضلاً عن خروجهم على بيعة يزيد بن معاوية مما سبب رد فعل قوياً من أهل الكوفة ومن مختلف طبقاتهم فكانت أول الكتب من وجهاء الشيعة أمثال سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة وحبيب بن مظاهر الاسدي وفيه « الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها »، والذي نجده في رسالة الوجهاء أنهم وضحوا كيف كانت سياسة معاوية في أهل العراق طوال فترة خلافته، إضافة إلى أنهم قد وضحوا بأن ليس لهم إمام عادل وأن النعمان بن بشير الانصاري في مقر الامارة معزولون عنه لا يجمعهم معه جمعة أو عيد، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام، وحمل هذه الرسالة عبدالله بن وال وعبدالله بن سبع الهمداني، وقد أوصيا بالإسراع وكتمان أمرهما خوفاً من السلطات الأموية[3]

أما الرسالة الثانية من أهل الكوفة ففيها «أما بعد، فحي هلا، فأن الناس ينتظرونك، ولا أرى لهم في غيرك فالعجل العجل والسلام»، وحمل هذه الرسالة هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي ثم لبثنا يومين، ثم سرحنا قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الارحبي وعمارة بن عبيد السلولي، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة، وهي تحث الإمام على الإسراع في المجيء إليهم وتظهر له الترحيب به والدعم الكامل[4].

وهناك رسالة رابعة أرسلها أشراف أهل مكة من أمثال شبث بن ربعي ومحمد بن عمير التميمي وحجار بن أبجر وعمرو بن الحجاج الزبيدي ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم وعزرة بن قيس، وقد كتبوا إلى الإمام بشيوع الأمل وازدهار الحياة وتهيئة البلاد عسكرياً وجاء في كتابهم «أما بعد، فقد اخضر الجناب، واينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجند»، والح اهل الكوفة على الإمام طالبين إليه أن يخرج إليهم ليبايعوه، وبعد أن جمع هذه الرسائل والكتب سأل الرسل عن أمر الناس، ورأى ان الواجب الشرعي يدعوه للقيام بهذه المهمة الخطيرة التي لا يقوم بها أحد سواه لذلك استجاب لهم مع علمه بنفسيات الكوفيين واتجاهاتهم السياسية وغدرهم فرأى أنه من الأفضل إرسال سفير عنه ليعلمه صدق ما كتبوا به أهل الكوفة فلم

(*) عن . . . (شرح عن اسم صاحب المقال).
(١) مسلم بن عقيل، ط١، مطبعة شريعت، دار الهدى، (١٤٢٤هـ)، ص١٠٥.
(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص٣٥٢.
(٣) الإمامة والسياسة، ج٢ص١٨٢.
(٤) تاريخ الطبري، ج٥ ص٣٥٣، البداية والنهاية، مج٤ج٨ص٥٢٤.

يجد أفضل من أبن عمه مسلم بن عقيل لأخذ البيعة له[١].

ثم كتب الإمام كتاباً إلى أهل الكوفة وأرسله بيد هاني بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبدالله الحنفي، وكانا آخر الرسل وفيه «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فأن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا أخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم، أنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت إليكم أخي وأبن عمي وثقتي من أهل بيتي،...، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله والسلام»[٢].

وقد حدد الإمام صفات الإمام الواجب طاعته وهذا يدلل لنا عدم اعترافه بخلافة يزيد.

ثانيا. موقف الإمام من أهل الكوفة

بعد أن أرسل أهل الكوفة الرسائل إلى الإمام تدعوه للمجيء إليهم، أرسل إليهم أبن عمه مسلم، الذي غادر مكة ليلة النصف من رمضان، وعرج في طريقه على المدينة فصلى في جامع الرسول وطاف بضريحه، وودع أهله وأصحابه وأتجه صوب العراق ومعه قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السلولي وعبدالرحمن بن عبدالله الارحبي، واستأجر من المدينة دليلين من قيس يدلانه على الطريق، فأقبلا به، فضلا عن الطريق وعطشوا، فمات الدليلان من العطش وقالا لمسلم: هذا الطريق إلى الماء، فكتب مسلم إلى الحسين وهو في مضيق الخبت: «إني،...، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا،...، وقد تطيرت فأن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري»، فكتب إليه الإمام: «أما بعد، فقد خشيت ألا يكون عملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام»[٣]

فمضى مسلم في طريقه الى ان وصل الى الكوفة.

والذي يبدو بالرغم من وجود هذه الرواية الوحيدة عند المؤرخين إلا انها لا تخلو من بعض المسائل المهمة كان الغرض منها الخدش بشخصية مسلم بن عقيل وإعطاءه صفة الجبن التي لا تتوافق مع ما وصف به من شجاعة عند المؤرخين ومنها:

١. يقول البلاذري ان مسلم بن عقيل كان أرجل ولد عقيل وأشجعها فقدمه الإمام إلى الكوفة حين كاتبه أهلها[٤]

(١) لسان الميزان، ط٢، ج٦ص٢٩٤.
(٢) الكامل في التاريخ، ج٤ ص٢١.
(٣) مقتل الحسين، ص١٩
(٤) انساب الاشراف، ص٧٧.

٢. ان الامام كما ذكرنا وصف مسلم بأنه ثقته من أهل بيته فكيف يكون ثقته جباناً ؟

٣. وصف محمد بن الاشعث لمسلم عند أبن زياد «أيها الأمير أما تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كف بطل همام من آل خير الأنام».

٤. أن مضيق الخبت يقع بين مكة والمدينة كما ذكره الحموي، وقد نصت الرواية على انه استاجر دليلين من المدينة، وخرجوا من المدينة الى العراق وأنه راسل الإمام من مضيق الخبت وذكر ما حلّ بالدليلين أي قبل وصوله إلى المدينة وهذا تناقض واضح فكيف يستأجر مسلم الدليلين وهو لم يكن قد التقى بهم اصلاً لانه لم يصل الى المدينة بعد، يقول الشيخ القرشي: « لوسلمنا ان هناك مكاناً يسمى بمضيق الخبت يقع ما بين المدينة والكوفة لم يذكره الحموي، فأن السفر منه إلى مكة لمقابلة الإمام يستوعب زماناً يزيد على عشرة أيام، في حين أن سفر مسلم من مكة إلى العراق مع مروره بالمدينة وتوديعه إلى أهله قد حدده المؤرخون بعشرين يوماً وهي أسرع مدة يقطعها المسافر فإذا استثنينا مدة سفر رسول من ذلك المكان ورجوعه إليه وهو يقارب عشرة أيام على الأقل فيكون مجموع المدة في سفر مسلم عشرة أيام ويستحيل ان يقطع الطريق من مكة الى الكوفة بعشرة أيام»[٥].

ثالثاً: أهل الكوفة ومبايعتهم لمسلم بن عقيل

بعد أن وصل مسلم بن عقيل وجماعته الكوفة، نزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي[٦] بسبب وصية الإمام له حينما قال «فأنزل عند أوثق أهلها وأدع الناس إلى طاعتي».

(٥) مسلم بن عقيل، ص١١٨.
(٦) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عوف بن قيس، ولد المختار بمدينة الطائف في السنة الأولى للهجرة النبوية، المصادف ٦٢٢ م ويكنى بأبي اسحق، أما سبب إطلاق اسم ثقيف على هذه القبيلة إن قيسا بن منبه بن بكر بن هوازن لما رحل من وادي القرى إلى وج التي عرفت باسم الطائف، قابل زعيمها عامر العدواني، وطلب منه أن يزوجه إحدى بناته، فزوجه إياها وأنجب منها اولاداً، ثم توفيت فتزوج أختها، واستقر مقامه بهذا البلد وغرس بأرضه بعض العيدان حتى جاء منها ما جاء، فسميت ثقيفاً من ذلك اليوم. انتقل المختار إلى المدينة مع أبيه وبقي المختار منقطعاً إلى بني هاشم تزوج عبد الله بن عمر بن الخطاب أخته صفية، كان المختار مع الإمام علي بالعراق وسكن البصرة بعد استشهاد الإمام علي، قبض عليه عبيد الله بن زياد في البصرة وزج به في الحبس وبشفاعة ابن عمر نفاه إلى الطائف، ذهب إلى الكوفة بعد موت يزيد بن معاوية لأخذ الثأر من قتلة الإمام الحسين وكان مقتله على يد مصعب بن الزبير في (١٤ رمضان عام ٦٧ هـ / ٣ نيسان ٦٨٧ م)، و له من العمر ٦٧ عاماً. للتفاصيل أكثر أنظر: الملهوف ص١٠٨، المعارف ص ٤٠٠، المختار الثقفي وقتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، مجلة جولية الكوفة، ص٣١١

وهذا يجعلنا نقول بأن المختار هو من أبرز رجال الشيعة في الكوفة آنذاك، هذا فضلاً عن وجود سبب أخر لاختياره دار المختار هو علاقة المصاهرة التي تجمع المختار مع والي الكوفة النعمان بن بشير الانصاري كونه زوجاً لابنته عمرة، وبهذا أصبح دار المختار مركزاً سياسياً مناهضاً للدولة الاموية.[١]

أما موقف أهل الكوفة من مسلم فذكر المؤرخون بأن الشيعة من أهل الكوفة كانوا يأتون مسلماً وهو يقرأ عليهم كتاب الإمام وهم يبكون وكان مسلم يوصي بتقوى الله تعالى وكتمان أمره حتى يقدم إليهم الإمام بناءاً على طلب الإمام، وانثالت الجماهير على مسلم تبايعه، فبايعه ثمانية عشر ألف من أهل الكوفة، وكان حبيب بن مظاهر يأخذ البيعة له.[٢]

أما موقف والي الكوفة إزاء هذه الأحداث فيذكر قسم من المؤرخين أنه صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال «أما بعد، فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فأن فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء،... أني لم أقاتل من لم يقاتل، ولا أثب على من لا يثب علي، ولا أشاتمكم ولا أتحرش بكم، ولا أخذ بالعرف ولا الظنة ولا التهمة، ولكنكم أن أبديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم فوالله الذي لا إله غيره لاضربنكم بسيفي،... أما أني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرون الباطل»[٣].

والذي يبدو ان موقف الوالي كان موالياً لمسلم بن عقيل وأنه لم يرد بكلمته «نكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم» إلا التمويه على العامة بصورة خلابة يذكر بها البيعة ليزيد وأنه إمام لا تجوز مخالفته وإلا فهو جد عليم بأن ما رماه من القول لا صلة له بالحقيقة لولا تأليفه. أليس هو القائل: «أن أبن رسول الله أحب إلينا من أبن بحدل هو (حسان بن مالك بن بحدل بن انيف بن دلجة بن قنافة، أبو سليمان الكلبي، زعيم بني كلب)»[٤].

وما يؤكد هذا ما قاله عبدالله بن مسلم الحضرمي وهو من الموالين واحد العيون والجواسيس للأمويين في الكوفة «أنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم ان هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين»، فأنه أراد استفزاز النعمان الذي أجابه «لأن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قوياً في معصية الله وما كنت لأهتك ستراً ستره الله» وبهذا دافع النعمان عن نفسه بأنه لا يعتمد على أية وسيلة تبعده عن الله تعالى وتتجافى مع دينه، واستبان للحزب الأموي ضعف سياسة النعمان وبموقف النعمان هذا أعطى للشيعة الموجودين في الكوفة قوة وزخماً شجعهم على العمل ضد يزيد وربما كان هذا الموقف يعود بسبب أن النعمان كان ناقماً على يزيد وذلك لبغضه وكراهيته للأنصار، فقد أغرى يزيد الشاعر المسيحي الأخطل بهجائهم[٥].

وقد فزع الأمويون من تجاوب الرأي العام مع مسلم بن عقيل وأتساع نطاق الحركة، في حين أن السلطة المحلية في الكوفة قد غضت النظر عن مجريات الأحداث واتهمت بالضعف أو التواطؤ مع الحركة. لذلك كتبوا إلى السلطة الأموية في الشام، فكان أول من كتب إلى يزيد بن معاوية عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي يخبره بالأوضاع السياسية في الكوفة: «أما بعد، فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعه الشيعة للحسين بن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف»، ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك[٦].

وبعد وصول هذه الرسائل من شيعته من اهل الكوفة تخوف يزيد أكثر مما كان، بسبب بروز الكوفة كمصر أخر موالٍ ومناصر للإمام فضلاً عن مكة التي كانت تمثل هماً أخر من همومه، فراودته الهواجس وظل ينفق ليله ساهراً فهو يعلم ان العراق مركز القوة في العالم الإسلامي آنذاك لذلك دعا يزيد سرجون بن منصور الرومي وكان كاتباً لمعاوية، فقال له: «ما رأيك، فأن حسيناً قد توجه نحو الكوفة ومسلم بن عقيل يبايع للحسين، وقد بلغني عن النعمان ضعف واعطني رأيك فيمن أضع على الكوفة»، وكان يزيد عاتباً على عبيدالله بن زياد وغير مرتاح منه وأراد عزله من البصرة وذلك لمعارضة أبيه زياد البيعة له، فقال سرجون: أرأيت معاوية لو نشر إليك أكنت أخذاً برأيه، قال: نعم، فأخرج عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة فقال هذا رأي معاوية[٧]

لذلك استجاب يزيد لسرجون من أجل الحفاظ على ملكه، فعهد له بولاية البصرة والكوفة معاً.

ولنا أن نسأل سؤالاً هو: لماذا أختار يزيد بن معاوية - عبيد الله بن زياد - من دون غيره ؟

الجواب: فقد اختلفت الآراء في ذلك فيرى كل من:

(١) تاريخ الطبري، ج٥ص٣٥١

(٢) تاريخ الطبري، ج٥ص٣٥٥، الفتوح، مج٣ج٥ص٣٤، الكامل، ج٤ص٢٢.

(٣) تاريخ الطبري ج٥ص٣٥٦، الكامل، ج٤ص٢٢.

(٤) مسلم بن عقيل، ص٩١.

(٥) الكامل في اللغة، ج١ص١٢١.

(٦) الوزراء والكتاب، تح عبدالله إسماعيل الصاوي، ط١، ص١٥-١٩

(٧) نهاية الأرب ج٢ص٣٨٨.

١.يرى المؤرخ البلاذري أن سرجون (هو سرجون بن منصور الرومي كان على ديوان الخراج في عهد معاوية وبقي على نفس الديوان في عهد يزيد بن معاوية) كان كاتبه وأنيسهُ لذلك أخذ برأيه[١].

٢.ويرى كل من المؤرخ الطبري وابن الأثير وابن كثير: أن اختياره لعبيد الله جاء بناءاً على عهد من أبيه إليه قبل وفاته[٢].

٣. المؤرخ أبن عبد ربه الأندلسي يقول: أن اختياره لعبيد الله بن زياد جاء بعد استشارة أهل الشام في ذلك[٣]

٤.المستشرق يوليوس فلهاوزن: يرى إن سبب اختياره كونه شخصاً أقل تحفظاً[٤]

٥.ويرى الشيخ باقر شريف القرشي: إن سبب اختيار عبيد الله كونهم يعرفون قساوته وبطشه وانه لا يقوى على إخضاع العراق إلا هو[٥]

٦.ويرى السيد الصدر أن يكون سرجون كاذباً وإنما يريد أن يخدع يزيد لأجل تنفيذ أغراضه التي يدركها أجمالاً.[٦]

والذي يبدو بأن الرأي الثاني هو الصائب بسبب اتفاق اكبر عدد من المؤرخين عليه، فضلاً عن احتياج يزيد آنذاك إلى رجل ذي سياسة ظالمة وبطش ضد رعيته، فلم يكن هناك أفضل من عبيد الله بن زياد مطيعاً لأوامره.

وبعد استقراء أوضاع وأحوال أهل الكوفة بعث مسلم برسالته إلى الإمام استغرق ذلك من مسلم بن عقيل شهراً وسبعة أيام، قبل استشهاده بسبعة وعشرين يوماً أي يوم (١٢/ ذي القعدة/ سنة ٦٠ هجرية) ومن المعلوم أن المدة التي يقطعها الساعي بين مكة والكوفة تقدر باثني عشر يوماً إذ أن مسلم حينما دخل الكوفة قطع المسافة تلك بهذه المدة مع انه قد توقف في الطريق نتيجة لموت دليله عطشاً، وظل منتظراً بوسط الطريق وربما توقف في الطريق ثمانية أيام حتى وصل إليه جواب الإمام الحسين(عليه السلام) لان البريد حينها لابد أن يقطع مسافة ثمان فراسخ ذهاباً وإياباً، ولذلك دخل لكوفة بعد عشرين يوماً، وبناءً على هذا الحساب يكون قد قطع المسافة بين مكة والكوفة باثني عشر يوماً، ومن هنا نفهم أن كتاب مسلم الذي بعثهُ إلى الإمام يوم (١٢/ ذي القعدة) وصل إلى الإمام الحسين(عليه السلام) يوم (٢٤/ ذي القعدة) والإمام الحسين(عليه السلام)

(١) انساب الأشراف، ج٤ ص٨٢

(٢) تاريخ الطبري، ج٥ص٣٥٦، الكامل في التاريخ، ج ٤ ص٢٢، البداية والنهاية مج٤ ج٨ ص٥٢٥.

(٣) العقد الفريد، ج ٤ ص٣٧٧

(٤) الخوارج والشيعة، ص١٢١.

(٥) حياة الشهيد الخالد، ص١٢٦.

(٦) شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين، ص٢٦٩.

لم يتحرك حال وصول هذا الكتاب بل بقي ما يقارب أربعة عشر يوماً في مكة أي انه قد تحرك من مكة المكرمة إلى الكوفة يوم التروية (٨/ ذي الحجة/ سنة ٦٠ هـ)، أي بعد أربعة عشر يوماً من وصول كتاب مسلم بن عقيل إليه(عليه السلام)[٧]

هنا نطرح سؤالاً هو: لماذا لم يتحرك الإمام الحسين(عليه السلام) فوراً إلى الكوفة بعد وصول كتاب مسلم بن عقيل وأخباره السارة؟؟

الجواب: إنّ الإمام الحسين(عليه السلام) لم يتحرك لسببين هما:

١.إن الإمام أراد البقاء إلى موسم الحج ليستطيع من خلاله أن يلتقي بالحجاج ليعرض عليهم مبادئه وأهدافه لكي يساعدوه في هذا الاتجاه ويطلب منهم المساعدة وهذا ما يجعلهُ يتحرك باطمئنان نحو الكوفة.

٢.إنّ الإمام لا يريد أن يدخل الكوفة قبل إتمام مناسك الحج حتى لا تستخدم سلطة يزيد ذلك كوسيلة ضد الإمام وحتى لا يشيع أعوان الحكومة أن الإمام ترك بيت الله واعرض عنه طلباً للدنيا والسلطان فقد قام الإمام بعمرة مفردة وتحرك نحو الكوفة.

رابعاً: عبيد الله بن زياد ومكره بأهل الكوفة

بعث يزيد الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي، وعندما تسلم أبن زياد العهد بولاية الكوفة من الباهلي، طار فرحاً، فقد تم له الحكم المطلق على جميع أنحاء العراق بعدما كان مهدداً بالعزل عن ولاية البصرة، هذا فضلاً عن تخويله الحكم المطلق من حكومة دمشق بإباحة الشدة والقسوة وسفك الدماء لكل من يقف بوجه يزيد وبالذات مسلم بن عقيل، «فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب أبن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام»، وهي إمارة الاستكفاء التي اعتاد بنو أمية إعطاءها لجميع قادتهم على أهل العراق[٨]

خرج أبن زياد من البصرة وأستخلف أخاه عثمان بن زياد، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وانتخب من أهل البصرة خمسمائة رجل فيهم عبدالله بن الحارث وشريك بن الأعور وهما من شيعة الإمام علي لمكانتهم في نفوس الشيعة من أهل الكوفة.

كان عبيدالله بن زياد يسارع أنصاره بالوصول إلى الكوفة وبعد أن تساقط أنصاره ومولاه مروان، نزل عبيد الله فأخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن، ثم اعتجر لبس قطعة قماش على رأسه بمعجرة يمانية فركب بغلته ثم انحدر راجلاً وحده فجعل يمر بالمجالس، فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الإمام فيقولون له:

(٧) الإرشاد ص٢١٩

(٨) الحضارة العربية الاسلامية، ص٣٦.

مرحباً بك يا ابن رسول الله، وجعل لا يكلمهم، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم لاستقباله والترحيب به[١]

يتضح لنا ان ابن زياد قد عرف طريقة خداع أهل الكوفة ودخوله إليهم، وانه يعلم بطرقها وأبوابها وإلا كيف استطاع من دخولها وما يعزز هذا الكلام ان زياد بن ابيه قد حكم الكوفة فترة ثلاث سنوات (٤٩ – ٥٣ هـ / ٦٧٢ م – ٦٧٩ م)، وهذه الفترة يمكن ان تُعرف عبيدالله على أشراف الكوفة هذا فضلاً عن معرفته بطرقها ومسالكها[٢].

وبعد ان دخل أبن زياد قصر الأمارة وفي الصباح أمر بجمع الناس في المسجد الأعظم فأسرعت الناس إليه وقد خيم عليهم الفزع والذعر وخرج إليهم متقلداً سيفه ومعتماً بعمامة فخطب قال: «أما بعد، فإن أمير المؤمنين أصلحه الله، ولآني مصركم وثغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم، فانا لمطيعكم كالوالد البر الشفيق وسيفي وسوطي على من ترك أمري، وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه، الصدق ينبيء عنك لا الوعيد»[٣].

ونستنتج من هذا ان ابن زياد قد حدد منهاج عمله في الكوفة وكانت فيها الأمور الآتية:

١. إعلام أهل الكوفة بولايته على مصرهم، وعزل النعمان بن بشير الأنصاري عنها.

٢. إمارة ابن زياد وكانت إمارة استكفاء مطلق في جباية الخراج وتفويض له في الفيء والعطاء.

٣. إعلام أهل الكوفة بأن السيف هو مصير كل من يخالف سياسة يزيد بن معاوية والذي يبدو أن ابن زياد لم يحدد واجبه المهم وهو قتل أو نفي مسلم بن عقيل وهناك سببان مهمان لهذا:

أ. انه يعرف عدد المبايعين لمسلم بن عقيل والذين كانوا قادرين على مواجهته وإفشال دوره في قيادة أهل الكوفة نحو السلطة الأموية وقد اعلمه يزيد بذلك.

ب. أن المبايعين للإمام كان أغلبهم من الشباب لذلك خاف الانتفاضة والخروج عليه ومما يدلل على أن أغلبهم من الشباب هو أن المرأة كانت تأتي أبنها أو أخاها أو زوجها تقول له الناس يكفونك.

وكان لهذه الخطبة أثرها الواضح في استفزاز الناس فقام إليه أسد بن عبدالله المري وقال: أن الله تبارك وتعالى يقول: ((ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)) ولم يجبه ابن زياد عن ذلك مع انه قد وقف ضد نهجه وهذا يدلل لنا على تخوفه من أهل الكوفة أول مجيئه.

ثم حدد منهاج عمل العرفاء في الكوفة من خلال خطبته فيهم فقد ذكر أبو مخنف الأزدي فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال اكتبوا إلى الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب، الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبريء، ومن لم يكتب لنا احد فيضمن لنا ما في عرافته إلا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وايما عريف، وجد من عرافته من بغيه أمير المؤمنين احد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء، وسير إلى موضع بعمان الزّارة[٤]

واحتوى منهاج عمل أبن زياد الأمور الآتية:

١. الكتابة إلى عبيدالله عن الغرباء الذين يأتون إلى الأمصار لأنه كان لديهم سجلات عامة فيها أسماء الرجال والنساء والأطفال.

٢. تحديد الناس في الكوفة، أهم إتباع يزيد بن معاوية أو ضده؟

٣. تحميل العريف مسؤولية ما موجود في عرافته من الغرباء إن لم يكتب وبذلك يكون حق لابن زياد صلبه على باب داره.

٤. اعتماد أهل الكوفة على العطاء بسبب قلة المهن والحرف الصناعية إذ اغلبهم فقراء يعتمدون على الحرب كوسيلة للعيش لذلك لجأ أبن زياد إلى نقطة الضعف هذه عندهم هذا فضلاً عن أن العريف قد ينفى إلى منطقة ليس فيها سوى زئير الأسد والذي يتضح بأن عبيد الله قد حدد سياسته بالعراق (البصرة والكوفة) باتصاله بالعرفاء كونهم يعرفون قبائلهم جيداً وبذلك سهلت عليه الأمور في قيادتهم.

بعد دخول مسلم إلى الكوفة ابتهج الناس بمقدمه، فقام أعوان عبيد الله بن زياد بخطة مضادة لمواجهة سفير الحسين الذي حاصر قصر ابن زياد، وكان هدف مسلم اعتقال ابن زياد أو قتله فقام أعوان ابن زياد بأعمال مضادة هي:

١.دعا عبيد الله بن زياد رجلاً اسمه كثير بن شهاب وأمره أن يخرج للناس فيمن أطاعه من بني مذحج فيسير في الكوفة ويخذل الناس عن مسلم، ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان.

٢.أمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من بني كندة وحضرموت فيرفع راية الأمان لمن جاءهُ من الناس وقد أمر شمر

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٣ص٢٤٢

(٢) شذرات من فلسفة تاريخ الامام الحسين، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٣) مقاتل الطالبيين، تح السيد أحمد صقر، ص١٠٠

(٤) مقتل الحسين، ص٢٧

بن ذي الجوشن الضبابي[1] وشبث بن ربعي[2] أن يخرجوا من القصر ويدعوا الناس إلى الأمان تحت الراية وقد نصبت لهذه الغاية خمس رايات أمان في الكوفة في خمس مناطق منها وكانوا يدعون الناس للابتعاد عن انتقام ابن زياد.

٣.بث الرعب بصفوف أنصار مسلم بن عقيل فقد أُعتقل اثنين من أنصاره وأمر ابن زياد بحبسهم.

٤. بعد أن نصب كل من كثير بن شهاب وخمسة من أعوان ابن زياد رايات أمان اخذوا بإلقاء الخطب على الناس فيمدحون ابن زياد ويذمون مسلم بن عقيل.

٥. إضافة إلى ما يقوم به أعوان عبيد الله بن زياد من الدعايات المضادة والتبليغات في شوارع الكوفة ضد مسلم فأن ابن زياد أمر جماعته أن يصعدوا القصر ويهددوا الناس ويتوعدونهم وقد خطب كثير بن شهاب بالناس قائلاً: أيها الناس أبقوا بأهليكم ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فأن هذه جنود الخليفة يزيد قد أقبلت وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وان يأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلاّ أذاقها وبال ما جرت أيديها.

(١) بفتح الشين وكسر الميم، ويجري على الألسن وفي الشعر يكسر الشين وسكون الميم وهو خلاف المضبوط وذي الجوشن أبوه اسمه شرحبيل بن الأعور بن قرط بن عمرو بن معاوية بن كلاب الكلابي الضبابي من مبغضي الإمام الحسين(عليه السلام) كان في أول أمره من ذوي الرئاسة في هوزان موصوفاً بالشجاعة وشهد يوم صفين مع الإمام علي(عليه السلام) سمعهُ أبو إسحاق السبيعي يقول بعد صلاة الظهر: اللهم اشهد انك تعلم أني شريف فأغفر لي !! فقال لهُ: كيف يغفر لك وقد اعنت على قتل ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال: ويحك: أن امراءتا أمرونا بأمر فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شرّاً من هذه الحمر ؟! ولما قام المختار خرج من الكوفة إلى الكلتانية (وهي إحدى قرى خوزخستان) ففاجأهُ جمع من رجال المختار فبرز لهم الشمر قبل أن يتمكن من لبس ثيابه فقاتلهم قليلاً فتمكن منه كيسان أبو عمرة فقتلهُ وألقيت جثتهُ إلى الكلاب. انظر: أبصار العين في أنصار الحسين ص ٢٢

(٢) شبث بن ربعي التميمي اليربوعي أبو عبد القدوس، شيخ مضر وأهل الكوفة في أيامه، أدرك عصر النبوة، و لحق بسجاح المتنبئة، ثم عاد إلى الإسلام، ثار على عثمان بن عفان، ثم تحول خارجياً، ابنه عبد القدوس المعروف بابي الهندي شاعر سكير زنديق، وسبطه صالح بن عبد القدوس قتله الخليفة العباسي المهدي بسبب زندقته وصلبه على جسر بغداد، قاتل شبث بن ربعي الإمام الحسين(عليه السلام) بعد أن كتب إليه يدعوه إلى المجيء للكوفة، مات بالكوفة سنة ٧٠ هـ وقيل انه لما قبض عليه إبراهيم بن مالك الاشتر فقال له: أصدقني ما عملت يوم الطف ؟ فقال: ضربت وجه الإمام الحسين بالسيف !! فقال له: ويلك يا معلون، ما خفت من الله تعالى ولا من جده رسول الله، ثم جعل يشرح أفخاذه حتى مات. انظر: الإعلام ح٣ ص١٥٤، أبصار العين في أنصار الحسين ص ١٤، الملهوف ص ١٠٦

٦.إن النفوس الدنيئة التي ارتفعت بعد انحطاط وعُزت بعد ذل، وتمكنت بعد حرمان، يعزّ عليها أن ترى الشرفاء الأمجاد، يتمتعون باحترام الناس وتقديرهم فتحاول أن تضع من مكانتهم، وتحط من منزلتهم إشباعاً لعقدة النقص التي تطاردهم في حياتهم، ولم يكن عبيد الله بن زياد إلاّ واحداً من أصحاب هذه النفوس الدنيئة.

فلما سمع الناس اخذوا ينصرفون، كل تلك الأعمال التي قام بها أعوان ابن زياد رافقتها موجة عنف ضد مسلم في وقت كانت الكوفة تعيش في حالة عدم استقرار أدت فيما بعد إلى سيطرة جماعة ابن زياد على الأمر، على خلاف الإرادة الشعبية التي كانت تنتظر قدوم الإمام الحسين(عليه السلام) إلى الكوفة، ومع حلول المساء انفض عن مسلم ما كان معه من أصحابه وسلب من مسلم قدرته العسكرية حتى أمسى مسلم وليس معه إلاّ ثلاثين رجلاً في المسجد على رواية الطبري، فلما صلى ورأى انهُ لم يبقَ معهُ إلاّ عشرة أشخاص، ولما خرج من الباب وإذا بمسلم لوحده في أزقة الكوفة ليس معه احد، فلا احد معه يدلهُ على الطريق أو يواسيه حتى انتهى الأمر إلى باب امرأة يقال لها طوعة[3].

وهكذا بدأ الانعطاف وبدأت الإحداث تتخذ مجرى آخر ولاحت بوادر النكوص والإحباط تظهر على جماهير الكوفة وبعض قياداتها وراحت سلطة عبيد الله بن زياد تقوّي مركزها وتمسك بالعصا الغليظة وبوسائل القوة والسيطرة المألوفة لديها من المال، والرشوة وممارسة الإرهاب، وتسخير الجواسيس لجمع المعلومات وتوجيه الدعاية المضادة، فأضطر مسلم إلى تبديل موقعه من دار المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى دار الزعيم الكوفي هاني بن عروة[4] واستقر فيها بعيداً من

(٣) تاريخ الطبري ج٤ ص٢٧٧، الإرشاد ص٢١

(٤) هاني بن عروة الغطيفي المرادي: بن نمران بن عمرو بن قعاس بن عبد يغوث بن مخدش بن خضر بن غنم بن مالك بن منبه بن غطيف بن مراد بن مذحج أبو يحيى من مذحج احد سادات الكوفة وأشرافها أدرك النبي محمد(صلى الله عليه وآله) وصحبهُ وهو من أصحاب الإمام علي(عليه السلام) شارك في حرب الجمل وصفين والنهروان، وكان من أركان حركة حجر بن عدي الكندي ضد زياد بن أبيه، كان قد ناهز التسعين من عمره روى المسعودي: انه كان شيخ مراد وزعيمها يركب في أربعة آلاف ذراع وثمانية آلاف راجل، كان مسلم بن عقيل قد حلّ في داره واستتر فيه فعندما كشف أمره طلبه ابن زياد ودارت بينه وبين هاني محاورة انتهت بضرب هاني بسوط ابن زياد حتى هشم انف هاني وأمر به ابن زياد فحبس، ولما تم القبض على مسلم بن عقيل، وفي يوم التروية المصادف (٨/شهر ذي الحجة /سنة ٦٠ هجرية) أخرج هاني إلى سوق الغنم مكتوفاً فضربه رشيد التركي مولى عبيد الله بن زياد ضربتين فمات وأمر ابن زياد برأس هاني ومسلم أن يرسلا إلى يزيد بالشام، ولما سمع الإمام الحسين(عليه السلام)الخبر وهو في الثعلبية قال: إنا لله وانأ إليه راجعون رحمة الله غليهما وردد ذلك مراراً ودمعت عيناه. للتفاصيل أكثر راجع: خير الأصحاب ص١٧٩، الملهوف ص١١٤.

أعين السلطات والملاحقة حتى استطاعت جواسيس ابن زياد أن تكشف المكان الذي فيه مسلم بن عقيل.

عندما عرف ابن زياد بمكان مسلم بن عقيل، طلب هاني بن عروة بأسلوب مبطن وغير مثير، فقد بعث إليه وفداً يدعوه لزيارته وإزالة الجفوة بينهما وما أن دخل هاني إلى قصر الأمارة حتى وجد نفسه أمام محكمة، وتهم توجه إليه، وجواسيس يشهدون عليه انه يوالي الإمام الحسين(عليه السلام)، ويعبئ المقاومة ويشترك في تنظيم صفوفها المسلحة ويجمع المال والسلاح والأنصار، ويخطط للإجهاز على السلطة القائمة، ويتستر على مسلم ويخبئُهُ في داره، حاول هاني الدفاع عن نفسه إلاّ أن ابن زياد هجم على هاني وراح يضربهُ ويهشم انفهُ، وأخيراً أصدر ابن زياد أمراً بسجن هاني وحبسهُ في أحدى رفوف القصر ووضع عليه حراسة مشددة، فلما رأى مسلم ذلك خرج من بيت هاني ولم يبقَ معه لحين خرج وحيداً في سكك الكوفة حتى وقف على باب المرأة الكوفية الصالحة طوعة[1] فطلب منها ماءً فسقتهُ، ثم أستجارها فأجارتهُ فعلم ولدها بلال فوشى الخبر إلى عبيد الله بن زياد فأرسل عبيد الله بن زياد محمد بن الأشعث وأرسل معه سبعين من بني قيس ليقبضوا على مسلم، فلما سمع مسلم وقع حوافر الخيل لبس درعهُ وركب فرسهُ وجعل يحارب أصحاب ابن زياد كان ذلك عند الصباح لما كان مسلم مشغولاً بصلاة الصبح فعجل دعاهُ وقال لطوعة: قد أديت ما عليك من البر وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولقد رأيت البارحة عمي أمير المؤمنين في المنام وهو يقول لي: أنت معي غداً. وخرج إليهم يضربهم بسيفه ففروا منهزمين ثم عادوا إليه فأنطلق نحوهم في السكة شاهراً سيفهُ لم يختلج في قلبه خوف ولا رعب وكان يقاتلهم وهو يقول:

هو الموتُ فأصنع ويكَ ما أنت صانعُ

فأنت بكاس الموتِ لاشك جارعُ

فصبراً لأمر الله جلَ جلالهُ

فحكم قضاء الله في الخلق ذايعُ

وقتل منهم واحداً وأربعين رجلاً وكان من قوته يأخذ الرجل بيدهِ ويرمي به فوق البيت[2]

(١) طوعة كانت أم ولد للأشعث بن قيس الكندي تزوجها من بعده رجل من حضرموت يقال له أسيد بن البطين فأولدها ولداً يقال له بلال. راجع: حياة الإمام الحسين ج٢ ص٣٨٦، مقتل الحسين للمقرم ص١٦٠، خير الأصحاب ص٩٩.

(٢) مناقب ابن شهر أشوب ج٢ص٢١٢، الملهوف ص١٢٠، حياة الشهيد الخالد ص١٦٣،

وكان قبل ذلك قد قام مسلم بتوزيع قيادات جيشه على من عرف بالولاء والإخلاص لأهل البيت (عليهم السلام) وهم كل من:

١.عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي، وجعله على ربع كندة وربيعة.

٢.مسلم بن عوسجة جعله على ربع مذحج وأسد.

٣.وأبو ثمامة عمر الصائدي وجعله على ربع قبائل بني تميم وهمدان.

٤.والعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة[3].

وخلال المعركة استعمل معه أنذال الكوفة ألواناً قاسية وشاذة في الحرب، فقد صعدوا إلى سطوح منازلهم وجعلوا يرمونه بالحجارة وقذائف النار فأبدى سفير الحسين شجاعة بالغة وقوة بأس عظيمة فلم يقدروا عليه هؤلاء من أنذال الكوفة عندها أرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد يقول له: أتظن انك أرسلتني إلى بقال من بقالي الكوفة، أو جرمقاني من جرامقة الحيرة - الجرامقة قوم من العجم صاروا إلى الموصل- أفلا تعلم أيها الأمير أنك بعثتني إلى أسد ضرغام، وبطل همام، في كفه سيف حسام، يقطر منه الموت الزؤام ؟

فمده ابن زياد بالعسكر الإضافية. واشتد القتال فضرب بكير بن حمران فم مسلم فقطع شفتهُ العليا، وأسرع السيف إلى السفلى فضربه مسلم ضربة أردتهُ إلى الأرض، ولما قتل مسلم منهم جماعة نادي عليه محمد بن الأشعث: يا مسلم لك الأمان.

فقال مسلم: وأي أمان للغدرة الفجرة ثم اقبل يقاتلهم وهو يرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعمي:

أقسمتُ لا اقتل إلاّ حُراً

وإنْ رأيتُ الموتَ شيئاً نكراً

كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً

ردّ شعاع النفس فاستقرّا

أضربكم ولا أخاف ضراً

ضرب همام يستهين الدهرا

ويخلط البارد سخناً مُراً

ولا أقيم للامان قدراً

أخافُ أن اكذب أو أُغراء

وأثخنته الجراحات، وأعياه نزف الدم، فأستند إلى جنب تلك الدار فتحاملوا عليه يرمونه بالسهام والحجارة فقال لهم مسلم: ما لكم ترموني بالحجارة كما ترمى الكفار، وإنا من أهل بيت الأنبياء والأبرار ألا ترعون حق رسول الله في عترته؟

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي. ج١ص٢٩٧

ثم حملوا عليه من كل جانب وقد اشتد به العطش فطعنهُ رجل من خلفه فسقط إلى الأرض وأُسر، وقيل أنهم عملوا لهُ حفرة وغطوها بالتراب فوقع فيها مسلم وأسروهُ.[١]

فأُخذ أسيراً فلما دخل على عبيد الله بن زياد لم يسلم عليه، فقال له الحرسي وهو من صعاليك أهل الكوفة: سلّم على الأمير.

فقال لهُ مسلم: اسكت يا ويحك والله ما هو لي بأمير.

فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أم لم تسلم فأنك مقتول.

فقال له مسلم: إنّ قتلتني فلقد قتلَ مَنْ هو شر منك من هو خيرٌ مني، وبعد فأنك لا تدع سوء القتلة وقبح وخبث السريرة ولؤم الغلبة لا احد أولى بها منك.

فقال له ابن زياد: يا عاق يا شاق، خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، والقحت الفتنة بينهم.

فقال له مسلم: كذبت يابن زياد والله ما كان معاوية خليفة بإجماع الأمة، بل تغلب على وصي النبي(صلى الله عليه وآله)بالحيلة واخذ منه الخلافة بالغصب، وكذلك ابنه يزيد وأما الفتنة فإنما ألقحها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف[٢].

وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يد شر بريته، فو الله ما خالفتُ، ولا كفرتُ ولا بدلتُ، وإنما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن علي(عليه السلام) ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه يزيد.

فأستشاط عبيد الله بن زياد غضباً واخذ يسب الإمام علي والحسن والحسين.

فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتم منهم، فأقض ما أنت قاض فنحن أهل بيت موكل بنا البلاء.

ثم نظر مسلم في مجلس ابن زياد فرأى عمر بن سعد[٣]

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ص٣٠١، مقتل الحسين للمقرم ص١٦٢.

(٢) قال السيد الخوئي: زياد بن عبيد هذا هو زياد بن أبيه، وأمه سمية المعروفة، وقصة إلحاقه بأبي سفيان مشهورة ونغلهُ عبيد الله قاتل الإمام الحسين(عليه السلام)، وليت شعري كيف عدّ العلامة وابن داود هذا اللعين ابن اللعين أبا اللعين في القسم الأول من كتابهما وكأنهما لم يلتفتا إلى أن زياد بن عبيد هو زياد المعروف بأبيه. راجع: معجم رجال الحديث ج٧ص٣١١

(٣) هو عمر بن سَعد بن وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وأمه مارية بنت قيس بن معدي كرب بن أبي الكيسم بن السهط بن امرئ القيس من كندة. وسكن عمر بن سعد الكوفة وقد استعمله عبيد الله بن زياد على الري وهمدان وقطع معه بعثاً. فلما قدم الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) العراق أمر عبيد الله، عمر بن سعد أن يسير إليه وبعث معه أربعة آلاف من جنده وقال له: إن هو خرج إليّ ووضع يده في يدي وإلاّ فقاتله. أطاع بالخروج إلى الإمام الحسين (عليه السلام). ولما غلب المختار الثقفي على الكوفة أرسل جنوده إلى عمر بن سعد حيث جاؤوهُ بالرأس وابنهُ حفص جالس عنده، حيث الحقهُ بأبيهُ بعده، وأرسل برأسيهما إلى محمد بن الحنفية في المدينة المنورة، سنة ٦٦ هـ/ ٦٨٦ م. إبصار العين في أنصار الحسين ص٢٢، البداية والنهاية ج ٨ ص٢٧٣.

فقال له: يا عمر أن بيني وبينك قرابة[*] ولي إليك حاجة يجب عليك قضاؤها وهي سرّ، فامتنع ابن سعد من الاستجابة لطلب مسلم.

فأمر ابن زياد عمر بن سعد بأن يقوم مع مسلم ليعهد إليه بوصيته فأوصاه مسلم أن يقضي دينهُ البالغ سبعمائة درهم فيبيع سيفه ودرعه ليوفي دينه وان يستوهب جثته من ابن زياد فيدفنها وان يكتب إلى الإمام الحسين(عليه السلام) يخبره بما حصل له في الكوفة.

فقام عمر بن سعد إلى ابن زياد وأفشى كل ما أسرَهُ إليه.

فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن[٤]

شملت وصية مسلم بن عقيل على الآتي:

١.إنّ عليه ديناً في الكوفة ولابد له من القضاء، فقد جاء في الحديث النبوي: المرء مرتهن بدينه.

٢.يريد الإحسان والمكافأة لمن أجارته وآوته شأن الحر الكريم وسجية أسلافه الأمجاد في مجازاة المحسن على إحسانه ومكافأة صاحب اليد.

٣.يخاف على بدنه الهوان بعد القتل لان الأعداء أجلاف أرجاس.

٤.وهو أهمها في نفسه وهو إنذار الإمام الحسين(عليه السلام) وتحذيره من قدوم الكوفة أهل الغدر والنكث لأنه كاتبه يستحثه القدوم قبل ظهور الغدر[٥]

وبعدها صاح عبيد الله بن زياد بمسلم قائلاً: بماذا أتيت إلى هذا البلد ؟ شتت أمرهم، وفرقت كلمتهم، ورميت بعضهم على بعض ؟

فجاوبه مسلم بن عقيل قائلا له: لستُ لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتأمرتم على الناس من غير رضىً، وحملتموهم على ما غير أمركم الله به، وعملتم فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهلاً لذلك، فانه لم تزل الخلافة لنا منذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا فإنا قهرنا عليها، إنكم أول من خرج على إمام الهدى، وشق عصا المسلمين، واخذ هذا الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان[٦]

(*) يقصد بالقرابة أن أم النبي (صلى الله عليه وآله) آمنة بنت وهب وأم الحمزة عمه من بني زهرة التي ينتسب إليها عمر بن سعد وجد الطرفين قريشي.

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ص٣٠٥، الإرشاد ص٣٩، الملهوف ص١٢٣، أضواء على ثورة الإمام الحسين ص١٨٢

(٥) الحسين مسلم بن عقيل، ص١١٥

(٦) كتاب الفتوح، ج٥ ص١٠١، حياة الشهيد الخالد ص١٧٥

ويمكن أن نستنتج من هذا النص أموراً ثلاثة هي:

أ-إظهار بني أمية المنكر ودفعهم المعروف وقد أظهر سليمان بن صرد ذلك في رسالته إلى الإمام الحسين(عليه السلام) عندما كتب إليه، أنه ليس علينا إمام، فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق.

ب-تأمرهم على الناس من غير رضى ووضح سليمان بن صرد الخزاعي ذلك حينما قال في رسالته إلى الإمام الحسين(عليه السلام): الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتآمر عليها بغير رضا منها، أي أنهما أرادوها كسروية يقتل خيارها واستبقى شرارها.

ت-إن ساسة بني أمية لا يعملون بكتاب الله وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فاخذوا مال الدولة وجعلوه بين جبابرتها وأغنيائها، وهذا ما جعل الرعية يشكون من قلة المال.

فأمر ابن زياد (بكير بن حميران الاحمري) أن يصعد إلى أعلى القصر ويقتلهُ، فصعد بمسلم وهو يسبح الله تعالى ويستغفرهُ ويصلي على نبيه ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا. فضرب عنقهُ ورمى برأسه وجسده الشريفين إلى الأرض ونزل وهو مذعور. فقال له ابن زياد: ما شأنك ؟

قال بكير: أيها الأمير رأيتُ ساعة قتله رجلاً اسوداً سيء الوجه عاضاً على إصبعه ففزعت فزعاً منه. فقال ابن زياد لعلك دهشت من شيء لم تعتده من قبل[١].

ثم أمر ابن زياد بقتل هاني بن عروة فجعل يقول بعدما علم انه مقتول: وامذحجاه وأين مني مذحج واعشيرتاه وأين مني عشيرتي. فوثبوا عليه وشدّوهُ في موضع يباع فيه الغنم.

فقالوا له: يا هاني مدّ عنقك. قال هاني ما أنا بسخي، وما كنت لأعينكم على نفسي. ثم قال: الى الله المعاد والمنقلب، اللهم، اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي، فأني إنما غضبت لابن بنت نبيك (صلى الله عليه وآله).

فضربه غلام لعبيد الله يقال له رشيد التركي فقال هاني: إلى الله المعاد اللهم رحمتك ورضوانك ثم ضربه ضربة ففاضت روحه الطاهرة، وكان عمره يوم استشهد تسعة وتسعون عاماً فمضى شهيداً دون مبادئهِ وعقيدتهِ.

وأمر ابن زياد بسحب الجثتين جثة مسلم وهاني بالحبال من أرجلهما في الأسواق وصلبهما بالكناسة منكوسين وبعث برأسيهما الطاهرين إلى يزيد فنصبهما يزيد

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ص٣٠٦

في احد دروب دمشق. فكان مسلم أول شهيد صلبت جثتهُ من بني هاشم[٢]

إن النفوس المتطلعة إلى الدنيا، تنسى في سبيلها شهامة الرجال، ومروءة الكرام، بل تنسى ما هو أعظم من ذلك، موقفها بين يدي الله تعالى، وإنها ستحاسب على كل عمل تعمله، بل تنسى بديهيات الأمور، حيث تنسى فناء الدنيا، وزوال المنصب، وضياع الجاه والسلطان، وكان عبيد الله بن زياد من هؤلاء الذين فتنوا بهذه الدنيا إرضاءً لعواطف سيده يزيد وكسباً لمودته طمعاً، فخسر دنياه وآخرتهُ وسجل أسمه في سجل الخونة الغادرين المعتدين الآثمين مع مجموعته التي تضم كلاً من عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وكتب عبيد بن زياد عن جريمته النكراء هذه إلى سيده يزيد فقال: أما بعد فالحمد لله الذي اخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤنة عدوه اخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي واني جعلت عليهما العيون ودسستُ الرجال وكدتهما حتى استخرجتما وأمكن الله منهما فضربتُ أعناقهما وبعثتُ إليك برأسيهما مع هاني بن أبي حية الوداعي الهمداني والزبير بن ألاروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب فأن عندهما علماً وصدقاً وفهماً ووداعاً والسلام.[٣]

فلما ورد الكتاب والرأسان جميعاً نصبهما يزيد في باب دمشق، وجاوب يزيد ابن زياد فكتب: أما بعد، فأنك لم تعد إذ كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابض فقد كفيت، وصدقت ظني ورأيي فيك وقد دعوت رسوليك فسألتهما عن الذين ذكرت فقد وجدتهما في رأيهما وعقلهما وفهمهما وفضلهما ومذهبهما كما ذكرت وقد أمرت لكل واحد منهما عشرة آلاف درهم وسرحتهما إليك فأستوص بهما خير وقد بلغني: أنّ الحسين بن علي قد عزم على المصير إلى العراق، فضع المراصد والمناظر والمسالح، واحترس واحبس على الظن، واقتل على التهمة. واكتب إليّ في كل يوم بما يتجدد لك من خير أو شر.[٤]

وهكذا انتهت المقاومة، وخمدت الثورة في الكوفة لتبدأ ثورة جديدة، ولتتحول هذه الدماء الزاكيات الحرّة الثائرة، إلى بركان غضب، يصمت برهة ليتفجر فيما بعد بعنف وشدة،

(٢) البداية والنهاية ج٣ ص١٥٧، الملهوف ص١٢٣، مقتل الحسين للخوارزمي ج١ص٣٠٧، تاريخ الطبري ج٦ ص٢١٤، حياة الشهيد الخالد ص١٨٠، حياة الإمام الحسين ج٢ ص٤١٢، خير الأصحاب ص١٧٩.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ص٣٠٩

(٤) انساب الإشراف ج١ص١٨٢، تاريخ الطبري ج٦ ص٢١٤، العوالم ص٦٦، كتاب الفتوح، ج٥ ص٦٣

لتكون عاصفة تهدأ فترة لتهب رياحها الكواسح على تلك الهياكل المنتصبة على جماجم الثائرين من اجل الإصلاح والهداية. استشهد مسلم بن عقيل(عليه السلام) يوم الأربعاء (٩/ ذي الحجة/ سنة ٦٠ هجرية) الموافق (٩/ أيلول /٦٧٩ ميلادية). وأستشهد مع مسلم كوكبة من زعماء ورؤساء الكوفة وهم رحمهم الله جميعاً:

١.هاني بن عروة المذحجي المرادي الغطيفي.

٢.عبد الأعلى بن يزيد الكلبي العليمي: كان تابعياً وجهاً من وجوه الشيعة، بطلاً شجاعاً، وكان من دعاة الإمام الحسين(عليه السلام) فيها أسره محمد بن الأشعث فأعتقه عبيد الله بن زياد فلما قتل مسلماً دعا به فضرب عنقه.

٣.العباس بن جعدة الجدلي: وهو من جديلة قيس كان تابعياً ومن وجوه الشيعة وأبطال الكوفة وزعمائها وهو قائد الفيلق الرابع من الجيش الكوفي لمسلم بن عقيل قتله عبيد الله بن زياد بعد قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة المرادي.

٤.عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي: كان تابعياً بطلاً من أبطال الكوفة واحد الزعماء وهو قائد الفيلق الأول لجيش الكوفة لمسلم بن عقيل في الحملة الأولى على قصر الإمارة وهو أيضا قائد سرايا الخيالة استشهد في حصار القصر

٥.مسلم بن كثير الازدي: وهو الزعيم المشهور وهو من أصحاب الإمام علي(عليه السلام) شارك في بعض الحروب وقد أصيب في رجله، كان تابعياً من وجوه الشيعة وأعيانها وبسببه كانت الحملة الثالثة على قصر الإمارة.[١]

وبعد استشهاد مسلم مع خلص أصحابه قام عبيد الله بن زياد بإعتقال كوكبة أخرى هم كل من:

١.المختار بن أبي عبيد الثقفي

٢.عبد الله بن الحارث بن نوفل

٣.رفاعة بن شداد بن عوسجة البجلي[٢]

٤.سليمان بن صُرَد الخزاعي[٣]

٥.والمسيب بن نجبة الفزاري[٤]

٦.وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدي[٥]

٧.وعبد الله بن وال التيمي[٦]

وبلغ الإمام الحسين(عليه السلام) خبر استشهاد مسلم بن عقيل،

(١) سفير الحسين مسلم بن عقيل، ص١٢١، خير الأصحاب، ص ٢٤٤

(٢) رفاعة بن شداد بن عوسجة الفتياني، وفتيان بطن من بجيلة، حيث كان سيد قراء أهل المصر، ناسكاً، من الشجعان المقدمين، وكان من شيعة علي، ولما قتل الإمام الحسين (عليه السلام) كان احد القواد الخمسة في جيش التوابين حيث كان احد القصاص الثلاثة الذين يحضون الناس على القتال، وكان آخر من بقى من القواد في جيش التوابين في معركة عين الوردة حيث اخذ الراية وانسحب في ستار الظلام بمن بقى من الجيش ورجع بهم إلى الكوفة، ثم كاتبة المختار وهو في السجن حين قدم من عين الوردة، وحين أعلن المختار ثورته كان رفاعة في صفوف مقاتليه وأبلى بلاء حسناً إلى أن قتل في عام ٦٦ هـ /٦٨٥ م. للتفاصيل انظر: المختار الثقفي وقتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، مجلة جولية الكوفة، العدد١، السمة الأولى، ص ٣١١

(٣) هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبي بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن جنيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو، ويكنى أبا مطرف. أسلم وصحب النبي (صلى الله عليه وآله) وكان اسمهُ في الجاهلية يسار، فلما اسلم سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله) سليمان، وكان له مكانة عاليه وشرف في قومه كما كان صحابياً جليلاً نبيلاً عابداً زاهداً، ولما قبض النبي (صلى الله عليه وآله) تحول فَنزل الكوفة حين نزلها المسلمون وشهد مع الإمام علي (عليه السلام) الجمل وصفين وهو الذي قتل حوشباً ذا ظليم الالهاني بصفين مبارزة، ثم أختلط الناس يومئذ. وكان احد الذين يجتمع الشيعة في داره لبيعة الإمام الحسين (عليه السلام) وكتب إلى الإمام الحسين(عليه السلام)، فيمن كتب إليه بالقدوم إلى العراق، فلما قدمها تخلوا عنه، وقتل كربلاء بعد ذلك، ورأى هؤلاء انه كانوا سبباً في قدومه، وأنهم خذلوه حتى قتل هو وأهل بيته، فندموا على ما فعلوا معه، ثم اجتمعوا في هذا الجيش وسموا جيشهم جيش التوابين، وسموا أميرهم سليمان بن صرد (أمير التوابين) فقتل سليمان في هذه الواقعة بعين الوردة سنة خمسة وستين، وكان عمره يوم قتل ثلاث وتسعين سنة وحمل راسهُ إلى مروان بن الحكم. انظر: وقعة صفين ص ٤٠٠، الطبقات الكبرى ج ٤ ص٦٤٩،

(٤) هو المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال بن شمخ بن فزارة، تابعي، كان رأس قومه شهد القادسية وفتوح العراق وشهد حصار دمشق، كما شهد مع الامام علي (عليه السلام) مشاهده كلها وسكن الكوفة، وكان شجاعاً بطلاً، فقد كان يوصف بأنه فارس مضر الحمراء علما، إذا عد من أشرافها عشرة كان احدهم. وكان متعبداً ناسكاً، وكان أحد من خرج من الكبار في جيش التوابين الذين خرجوا يطلبون بدم الامام الحسين(عليه السلام) وقتل في يوم عين الوردة من ارض الجزيرة سنة ٦٥هـ /٦٨٤ م، بعدما قاتل قتالاً شديداً وبعث برأسه الى مروان بن الحكم فنصبه في دمشق. انظر: الطبقات الكبرى ج ٦ ص٢١٦، الأعلام ج ٣ص٨٢.

(٥) هو عبد الله بن سعد بن نفيل بن الازدي من أزد شنوءة، كان من خيار أصحاب الإمام علي (عليه السلام) احد رؤساء الكوفة وشجعانها، خرج مع سليمان بن صرد في نحو خمسة آلاف رجل وسموا أنفسهم(التوابين) يطلبون (ثأر الحسين) وألت أليه أمارة الجيش بعد استشهاد سليمان بن صرد والمسيب بن نجبه حيث حمل الراية بعدهم الى أن قتل في معركة عين الوردة، عام ٦٥هـ \٦٨٤م. ذكره أعشى همدان في قصيدة كانت تكتم في ذلك الزمان يرثى بها التوابين، وينعت صاحب الترجمة بسيد شنوءة انظر.: تاريخ الطبري ج ٥ ص٥٥٢، الكامل في التاريخ ج ٣ص٣٣٢، البداية والنهاية ج ٨ص٢٥١

(٦) هو عبد الله بن وال التيمي من تيم اللات بن ثعلبه بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، كان من أصحاب علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وكان من فقهاء الكوفة المفتين، خرج في جيش التوابين مع سليمان بن صرد عندما خرجوا للطلب بثأر الحسين وفي معركة عين الوردة أخذ الراية بعدما قتل سليمان بن صرد والمسيب بن نجبه وعبد الله بن سعد، وقاتل إلى أن قتل، قتله أدهم بن محرز الباهلي أمير الجيش الأموي في ذلك الوقت في عام ٦٥هـ / ٦٨٤ م. للتفاصيل أكثر انظر: البداية والنهاية ج٨ ص٢٥١

وذلك انه قدم رجل من أهل الكوفة، فسأله: عن مسلم ؟

فقال: والله يا بن رسول الله، ما خرجت من الكوفة، حتى نظرت إلى مسلم بن عقيل وهاني بن عروة المذحجي، قتيلين جميعاً مصلوبين منكسين في سوق القصابين وقد وجه برأسيهما إلى يزيد.

فاستعبر الإمام الحسين(عليه السلام) باكياً، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليهما وردد ذلك مراراً.

وعزم المسير إلى العراق وقد عورض الإمام الحسين(عليه السلام) في مسيره للعراق من قبل رجلين من بني أسد حيث قالا له: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك أن لا تنصرف من مكانك هذا، فأنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن تكون عليك !

فوثب عند ذلك بنو عقيل، وقالوا: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا.

فنظر الإمام الحسين(عليه السلام) إلى الرجلين وقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء.[١]

لقد روى ابن عباس حبر الأمة أن الإمام علي(عليه السلام) قال: يا رسول الله إنك لتحب عقيلاً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أي والله إني لأحبه حبين، حباً له وحباً لحب أبي طالب له، وان ولده (يعني مسلماً) لمقتول في محبة ولدك (يعني الإمام الحسين) ثم بكى رسول الله(صلى الله عليه وآله) حتى جرت دموعه على صدره ثم قال: الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي.

وقد قال الشاعر الفرزدق في وصف مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة:

إذا كُنتِ لاتدرينَ ما الموتُ فانظري
إلى هاني في السوقِ وابن عقيلِ
إلى بطلٍ قد هشمَ السيفُ وجهه
وآخر يهوي من طمارِ قتيلِ
أصابهما أمرُ الأميرِ فأصبحا
أحاديث من يسري بكل مسيلِ
ترى جسداً قد غير الموت لونه
ونضح دمٍ قد سال كل سيلِ
فتى هو أحيا من فتاة حُيّية
واقطع من ذي شفرتين صقيلِ
أيركب أسماء الهماليجَ آمناً
وقد طلبتهُ مذحج بذحولِ
تطوف حواليه مرادٌ وكلهم
على رقبةٍ من سائلٍ ومسولِ
فإن أنتمُ لم تثأروا بأخيكم
فكونوا بغايا أُرضيت بقليل[٢]

خامسا: الأسباب التي أدت إلى فشل مسلم بن عقيل في مهمته

هناك أسباب أدت الى فشل مسلم بن عقيل في مهمته هي:

- ❖ العامل الاجتماعي
- ❖ العامل النفسي
- ❖العامل الاقتصادي

❖ العامل الاجتماعي:

امتاز مجتمع الكوفة دون غيره من مجتمعات الامصار العربية الاسلامية بعدد من الصفات التي سببت في اخفاق مسلم بن عقيل في مهمته ابرزها هو:

١. الغدر

فقد اشتهر مجتمع الكوفة بظاهرة الغدر وقد ضرب بهم المثل «اغدر من كوفي»، وقد وصفهم الامام علي «أسود رواغة وثعالب رواغة»، وربما ان سبب وجود هذه الظاهرة هو الظروف السياسية القاسية التي مرت عليهم خلال فترة خلافة معاوية لاختياره لهم الولاة القساة[٣].

٢. التمرد على الولاة

والطابع الخاص الذي عرف به المجتمع الكوفي، التمرد على الولاة والتبرم منهم، فقد ذكر الطبري: ان أهل الكوفة عزلوا عمار بن ياسر في خلافة عمر بن الخطاب وعينوا بدلاً عنه أبا موسى الأشعري برضائهم وعزل بعد سنة أيضاً برضائهم هذا فضلاً عن وصية معاوية إلى ابنه يزيد «وأما أهل العراق فأن سألوك ان تعزل كل يوم عاملاً فافعل». ويبدو من وصية معاوية أنه يريد بأهل العراق الكوفة ليس إلا بسبب كثرة الولاة عليها خلال فترة حكمه لذا فقد لاحظنا ظاهرة تعيين وعزل الولاة في العراق ومن خلال المتابعة وجد عدد الولاة في الكوفة والبصرة خلال فترة حكم معاوية كانت ثمانية ولاة لكل مصر من الأمصار[٤].

(١) خير الأصحاب، ص ١٠٥

(٢) كتاب الفتوح، ج٥ ص٦٢، مروج الذهب ج٣ ص٥٤، مقاتل الطالبيين ص١٠٩، جلاء العيون ج٢ص ٤١٨، حياة الإمام الحسين ج٢ ص٣٩٣.

(٣) تاريخ الطبري، ج٤ص٣٦٤.

(٤) تاريخ الطبري، ج٤ص٣٦٨.

٣. التناقض في السلوك

وهذه الظاهرة وجدت في مجتمع الكوفة الذي بدأ في تناقض صريح مع حياته الواقعية فهو يقول شيئاً ويفعل ضده، ويؤمن بشيء ويفعل ما ينافيه، والحال أنه يجب ان تتطابق أعمال الإنسان مع ما يؤمن به، وقد أدلى الفرزدق بهذا التناقض حينما سأله الإمام عن أهل الكوفة فقال: «من الخبير سألت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية»[١].

٤. عدم المجابهة أو الانهزامية

ويمكن ملاحظة ظاهرة الهروب أو الانهزامية في مجتمع الكوفة، لأنه قد عرفنا ان عدد المبايعين لمسلم بلغوا ثمانية عشر ألفا ولكن عندما خرج مسلم بمهمته لم يخرج معه إلا نفر قليل منهم ثم لم يبق إلا وحده وحيداً فريداً. ولم يجد شخصاً واحداً يدله على الطريق. وربما جاءت إليهم هذه الصفة كونهم قد ملوا الحروب لأنهم خاضوا حروب الجمل وصفين والنهروان.

٥. الطمع في المال

لقد فطن ابن زياد ان الأموال هي سلاحه ضد أهل الكوفة لذلك فقد بذل الأموال بسخاء لأشراف الكوفة وقد وصف مجمع بن عبدالله العائذي حالتهم للإمام حينما قال له: «أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم»، وقد وصفهم عمر بن عبدالرحمن للإمام قبل خروجه إليهم: «إنما الناس عبيد لهذا الدرهم أو الدينار»[٢].

❖ العامل النفسي

أوعز عبيدالله بن زياد إلى أشراف أهل الكوفة ان يبادروا إلى بث الذعر ونشر الخوف بين الناس، وقد انتدب للقيام بهذه المهمة كثير بن شهاب الحارثي وامره ان يخرج الى مذحج ومحمد بن الاشعث ان يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية آمان لمن جاءه من الناس وكذلك كان دور القعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن ابجرد العملي وشمر بن ذي الجوشن العامري وترك وجوه الناس عنده استئناساً بهم لقلة من معه[٣]

ولقد أدى كثير بن شهاب الحارثي دوراً كبيراً في تفريق أنصار مسلم بن عقيل من خلال ما قام به من زرع الخوف والذعر في صفوف الناس فكان يقول لهم «أيها الناس، الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فأن هذه جنود أمير المؤمنين قد أقبلت، وقد أعطى الأمير العهد لئن أتممتم على حربه، ولم تنصرفوا من عشيتكم، ان يحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتلكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وان يأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب».

وتكلم بعده الأشراف في كلام مشابه إلى ما تكلم به كثير بن شهاب.

والذي يمكن ان نستنتجه من خلال هذا الكلام عدة أمور منها:

١. التهديد بجيوش أهل الشام، فقد زحفت إليهم وهي ستنشر فيهم القتل والتنكيل ان بقوا مصرين على المعصية والعناد.
٢. حرمانهم من العطاء، وهذه الظاهرة قد تمسك بها كل الولاة كون اغلب رجالها هم من المسلمين الأحداث والمنتفعين من الدولة.
٣. نفيهم في مغازي أهل الشام، وزجهم في ساحات الحروب.
٤. أنهم ان أصروا على هذا التمرد، فأن أبن زياد سوف يأخذ بسياسة أبيه التي تحمل شارات الموت والدمار حتى يقضي على جميع ألوان الشغب والعصيان.

كان من نتيجة هذا الكلام الذي قاله ابن شهاب الحارثي ان تفرقت أنصار مسلم عنه فكانت المرأة تأتي أبنها أو أخاها أو زوجها وهي مصفرة الوجه من الخوف فتتوسل إليه قائلة: «الناس يكفونك ويفعل الرجل مثل ذلك»[٤].

وبهذا قد خلع الكوفيون ما كانوا يرتدونه من ثياب التمرد على بني أمية، ولبسوا ثياب الذل والعبودية من جراء ذلك وقد أيقن الإمام علي(عليه السلام) إلى ذلك حينما خطب في الكوفة وقال: «أصبحت لا اطمع في نصرتكم،... أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيفاً قاتلاً»[٥].

❖ العامل الاقتصادي

لقد عرفنا سابقاً بأن هناك كتباً من كبار شخصيات أهل الكوفة وهم أنفسهم الطبقة الغنية تطلب من الإمام المجيء إليهم، ولكن ما الذي غير سلوكيات هذه الشخصيات بعد مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة ؟ فلندرس بعض هذه الشخصيات:

١ - عمرو بن حريث المخزومي

من الشخصيات المعروفة التي نزلت الكوفة مبكراً وابتنى فيها داراً قريباً من المسجد والسوق، وولده فيها، وله شرف بالكوفة، وأصاب مالاً عظيماً، حتى انه قيل أغنى رجال الكوفة، وولي الكوفة في عهد زياد بن أبيه. لذا نرى ان سبب ارتداده عن الإمام بعد مجيء مسلم احتمالان هما:

١. ان عمرو ربما كان على علاقة بعبيدالله بن زياد خاصة وانه كان احد نواب أبيه في الكوفة، وعندما كتب أهل

(١) مقتل الحسين، ص٦٨
(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص٣٧١
(٣) الكامل في التاريخ، ج٤ص٣١
(٤) الصراع بين الأمويين ومبادىء الاسلام، ص١١٦
(٥) الإمامة والسياسة، ج١ص١٢٢.

الكوفة إلى الإمام كان واليها هو النعمان بن بشير الأنصاري، فكان من ضمن الأشراف الذين كتبوا للإمام، وبعد مجيء ابن زياد إلى الكوفة حسب أوامر يزيد لم يستطع عمرو ان يقف ضده لذلك ارتد عن الإمام.

٢. المصالح الشخصية لأشراف الكوفة وبضمنهم عمرو لأننا نجد بعد مجيء ابن زياد إلى الكوفة أصبح عمرو من المقربين إليه وحتى نائبه في الكوفة في حالة مغادرته البصرة فقد ذكر الطبري انه بعد وفاة يزيد بن معاوية كان عبيدالله بن زياد بالبصرة وعمرو بن حريث المخزومي نائبه في الكوفة. وسوف نجد أنه في خلافة عبدالله بن الزبير يأخذ الدور نفسه.[١]

٢ - شبث بن ربعي

وهو من الشخصيات الغنية في الكوفة، ليس له رأي ثابت فقد سبق له ان خرج على الإمام علي وانكر عليه التحكيم ثم تاب وأناب.

ونرى ان هناك عاملاً سياسياً مهماً قام به أشراف الكوفة دون غيرهم من أعوان ابن زياد هو اعتقال من يريد إعانة مسلم بن عقيل والدليل على ذلك ما فعله كثير بن شهاب الحارثي مع عبدالاعلى بن يزيد ومحمد بن الاشعث مع عمارة بن صلخب الازدي باعتقالهم عندما خرجا لمساعدة ابن عقيل وكذلك المختار بن ابي عبيدة الثقفي وعبدالله بن الحارث بن نوفل، وأحياناً استخدم ابن زياد سياسة القتل مع أعوان الإمام لكونهم من شيعة الإمام كما حصل مع ميثم التمار[٢]

قائمة المصادر

القرآن الكريم

❖ أولاً: المصادر العربية:

١.ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

٢.ابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٢.

٣.ابن شهر آشوب المازندراني: مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦.

٤.ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٠

٥.ابن سعد البصري: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤.

٦.أبو مخنف لوط بن يحيى: مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، مطبعة الوسام، بغداد، ١٩٧٧.

٧. أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ط٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٣٩٠هـ

٨.احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي: العقد الفريد، شرح أحمد أمين وآخرون، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٧

٩. احمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب العلمية، تحقيق جماعة، بيروت، ٢٠٠٤

١٠.احمد بن داود الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠.

١١.أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، د. ت

١٢.أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، تحقيق أجمد صقر، مطبعة الشريعة، قم، ٢٠٠٥.

١٣.أبو القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٩.

١٤.أبو المؤيد الموفق بن احمد المكي الخوارزمي: مقتل الحسين، تحقيق الشيخ محمد السماوي، مطبعة مهر، قم، ٢٠٠٢

١٥.الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥.

١٦.باقر شريف القرشي: الشهيد الخالد مسلم بن عقيل، دار الهدى، قم، ٢٠٠٣.

١٧. باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسين بن علي دراسة وتحليل، مطبعة الشريعة، قم، ٢٠٠٦.

١٨.خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦.

١٩.عباس محمود العقاد: أبو الشهداء الحسين بن علي، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الثانية، قم، ٢٠٠٣.

٢٠.عبد الرزاق المقرم: مقتل الحسين، مطبعة الغدير، قم، ٢٠٠٣.

٢١.عبد الهادي عبد الحميد: خير الأصحاب، دار الزهراء، الكويت، ٢٠٠١.

٢٢.عبد الله البحراني: عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال (الإمام الحسين) من منشورات مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٩٨٥.

٢٣.عبد الله شبر: جلاء العيون في سيرة رسول الله وأبنته الزهراء وأئمة أهل البيت، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٧.

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٥٢٤

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص ٥٧٠

٢٤.عبد الله بن مسلم بن قتيبة: الإمامة والسياسة، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧.

٢٥.عبدالرزاق المقرم: مسلم بن عقيل، ط١، دار الأضواء للنشر، بيروت، ٢٠٠١.

٢٦.عبد الواحد المظفر: سفير الحسين مسلم بن عقيل، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٨.

٢٧.علي بن أبي المكارم الشيباني (ابن الأثير): الكامل في التاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٩.

٢٨.علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأنوار، بيروت، ٢٠٠٩.

٢٩.علي بن موسى بن طاووس: الملهوف على قتلى الطفوف، تحقيق فارس حسون، دار الأسوة، طهران، ٢٠٠١.

٣٠.علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية الاسلامية، مطبعة مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة / بلات)

٣١.لويس معلوف: المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة التاسعة، بيروت، ١٩٣٢.

٣٢.محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٩.

٣٣.محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد): الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٤.

٣٤.محمد الصدر: أضواء على ثورة الإمام الحسين، دار العارف، بيروت، ١٩٩٦.

٣٥._____: شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين، دار الأضواء للنشر، بيروت. ١٤٢٣هـ

٣٦.محمد طاهر السماوي: إبصار العين في أنصار الحسين، مطبعة الشريعة، قم، ٢٠٠٢.

٣٧.محمد طاهر السماوي: مسلم بن عقيل، ط١، مطبعة شريعت، دار الهدى، قم (١٤٢٤هـ)

٣٨. محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء والكتاب، تح عبدالله إسماعيل الصاوي، ط١، مطبعة عبدالحميد أحمد، القاهرة. ١٩٣٠

٣٩.محمد بن محمد بن النعمان: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٤.

٤٠.محمد بن يزيد ابو العباس المبرد: الكامل في اللغة والادب: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧

٤١.محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، مطبعة دائرة المعارف، القاهرة، ١٩٣٧.

٤٢.نصر بن مزاحم المقري: وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة بهمن، قم، ١٩٩٩.

٤٣.نوري جعفر: الصراع بين الأمويين ومبادىء الاسلام، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٥٦

٤٤.هاشم معروف الحسني: سيرة الأئمة ألاثني عشر، دار القلم، بيروت، ١٩٧٧.

❖ ثانياً: المصادر المترجمة:

١.يوليوس فلهاوزن: الخوارج والشيعة، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، ط٢، الكويت، ١٩٧٦.

❖ ثالثاً: المجلات:

١.مثنى الشرع: المختار الثقفي وقتلة الإمام الحسين(عليه السلام)، مجلة حولية الكوفة، العدد١، السنة الأولى، النجف، ٢٠١١

❖ ❖ ❖